سلسلة نساء النبى ﷺ
(٨)

السَّيِّدَةُ المُبَارَكَةُ
جُوَيْرِيَةُ بِنْتُ الحَارِثِ

رضى الله عنها

تأليف
محمد محمود القاضى

الطبعة الأولى للناشر
١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م

رقم الإيداع: ١٥٦١٨/ ٢٠٠٥
الترقيم الدولي: I.S.B.N
977-265-653-1

دار التوزيع والنشر الإسلامية
مصر - القاهرة - السيدة زينب ص.ب ١٦٣٦
٢٥١ش بور سعيد ت:٣٩٠٠٥٧٢ - فاكس: ٣٩٣١٤٧٥
مكتبة السيدة : ٨ ميدان السيدة زينب ت: ٣٩١١٩٦١
www.eldaawa.com
email:info@eldaawa.com

غزوة بنى المصطلق

كان بنو المصطلق من خزاعة وهم من حلفاء بنى مدلج ينزلون على بئر لهم يقال لها :المريسيع، على مقربة من مكة، وكان سيدهم الحارث بن أبى ضرار يريد محاربة الرسول ﷺ والمسلمين، فسار الحارث فى قومه ومن قدر عليه من العرب فدعاهم إلى حرب رسول الله ﷺ فأجابوه، فقد كان الحارث سيداً مطاعاً فى قومه، وتهيئوا للمسير معه إلى محاربة النبى ﷺ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ وقد اختار الحارث هذا الوقت طمعاً منه فى تحقيق انتصار على الرسول ﷺ والمسلمين يفخر به على جميع أعداء الرسول ﷺ، فقد شهدت هذه الفترة عدة مواجهات بين المسلمين وكفار قريش فى غزوة الأحزاب ثم يهود بنى قريظة، فظن الحارث أن قوى المسلمين ربما تكون قد ضعفت نتيجة تلاحق حروبهم ضد أعدائهم.



فلما علم الرسول ﷺ بذلك بعث بُرَيْدَة بن الحصيب الأسلمى ليستطلع الأخبار ويتحقق من الأمر، فذهب بريدة إلى بنى المصطلق، ولقي الحارث بن أبى ضرار وكلمه ورجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره خبرهم.

فنادى المنادى بالجهاد، فأسرع الناس بالخروج، وقادوا الخيول وهي ثلاثون فرساً، في المهاجرين منها عشرة وفي الأنصار عشرون، وخرج معه بشر كثير من المنافقين، ولم يخرجوا فى غزوة قط مثلها، واستخلف الرسول ﷺ على المدينة زيد بن حارثة، وكان ذلك يوم الاثنين لليلتين خلتا من شعبان فى السنة السادسة من الهجرة. وبلغ الحارث بن أبى ضرار ومن معه مسير رسول الله ﷺ، فأرسل أحد أفراد جيشه ليستطلع له الأمر، ولكن حدث أن قتل هذا الرجل، فخاف الحارث ومن معه خوفاً شديداً، وتفرق من كان معهم من العرب وانتهى رسول الله ﷺ إلى بئر المريسيع، وكان الرسول قد أخذ معه فى هذه الغزوة زوجتيه عائشة وأم سلمة.

وتهيأَّ المسلمون للقتال، وصف رسول الله ﷺ أصحابه، ودفع راية المهاجرين إلى أبى بكر الصديق -رضى الله عنه- وراية الأنصار إلى سعد بن عبادة -رضى الله عنه-، فرموا بالنبل ساعة ثم أمر رسول الله ﷺ أصحابه فحملوا حملة رجل واحد، فما أفلت منهم إنسان، وقتل عشرة منهم وأسر بقيتهم، وسبى رسول الله ﷺ الرجال والنساء والذرية وما معهم من الأنعام والأغنام، ولم يقتل من المسلمين إلا رجل واحد، فكان ذلك درسًا بليغًا لكل من يفكر من العرب فى محاربة رسول الله ﷺ.

وأمر الرسول ﷺ بجمع الغنائم وكانت كثيرة، فقد كانت الإبل ألفى بعير، والشاء خمسة آلاف شاة، وكان السبى مائتى أهل بيت، ووزع النبى ﷺ الغنائم كما أمر الله. ومكث رسول الله ﷺ فى غزاته هذه ثمانية وعشرين يومًا وقدم المدينة لهلال شهر رمضان.

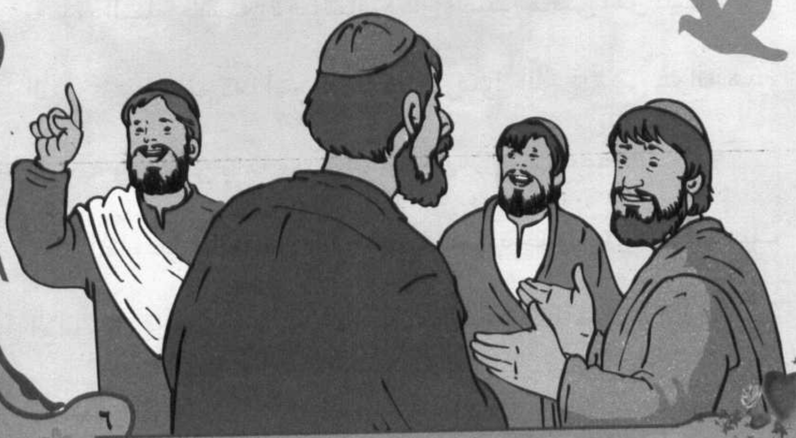
وفى أثناء عودة الرسول ﷺ من هذه الغزوة حدث ما يعرف بحديث الإفك الذى افتراه المنافقون على السيدة الطاهرة البارة عائشة

بنت أبى بكر زوج النبى ﷺ.

جويرية بنت الحارث سيد بنى المصطلق:

وكان من بين السبى جويرية بنتِ الحارث بن أبى ضرار، سيد بنى المصطلق، فوقعت فى سهم ثابت بن قيس بن شماس، فكاتبها على تسع أواقى ذهب لتفدى نفسها، ولعله أغلى فداءها لما علم من أنها ابنة سيد بنى المصطلق وزعيمهم، وأن أباها على أداء ما طلب قدير..

فلما أحست جويرية بمغالاة ثابت بن قيس فى طلب الفداء منها أتت رسول الله ﷺ تطلب منه إعانتها فى فكاك نفسها، وقالت له:



يا رسول الله، أنا جويرية بنت الحارث سيد قومه، وقد أصابنى من البلاء ما لم يخف عليك، وقد كاتبت فأعنى.

فقال النبى ﷺ: «أو خير من ذلك أؤدي عنك وأتزوجك؟" فقالت: نعم.

فلما تزوجها النبى ﷺ قال المسلمون: أصهار رسول الله ﷺ يُسْتَرقُّوْن؟! فأعتقوا ما كان فى أيديهم من سبي بنى المصطلق.. فلقد أعتق بها مائة أهل بيت.. فكان زواجها من رسول الله ﷺ خيرًا وبركة على قومها جميعًا.

ولعل هذا التصرف من رسول الله ﷺ وصحابته كان له أبلغ الأثر بعد ذلك فى نفوس بنى المصطلق جميعًا، وسببًا فى إسلام عدد كبير منهم.

ولعلنا نلحظ من هذا الأثر العظيم الذى ترتب على زواج الرسول ﷺ من جويرية حكمة من حكم تعدد زوجات النبى ﷺ، فالزواج عند الناس جميعًا بصفة عامة وعند العرب بصفة خاصة كان ولا

يزال سببًا مهمًا من أسباب الربط والتقريب بين الجماعات والقبائل.

فإذا كان الدافع لخروج بنى المصطلق لقتال النبى ﷺ هو كرههم للإسلام وللرسول ﷺ فلا شك أن تزداد الكراهية والعداء فى النفوس بعد الهزيمة المرة القاسية التى أصابت بنى المصطلق على أيدى الرسول ﷺ وصحابته، بل زاد من مرارة الهزيمة ما حدث لنساء بنى المصطلق عندما وقعن سبايا فى أيدى المسلمين، وهذا الأمر من عار كبير فى حق العربى الأبى.

كان النبى ﷺ يدرك جيداً وقع هذا الأمر على نفوس رجال بنى المصطلق، وفى الوقت نفسه لا يستطيع أن يجبر المسلمين على التنازل عن سباياهم من نساء بنى المصطلق، فلابد من أمر يفعله بنفسه حتى يقتدى به المسلمون، فتزوج من جويرية. هذا الزواج الذى كان نقطة تحول عظيمة فى نفوس بنى المصطلق وخاصة قائدهم وزعيمهم الحارث بن أبى ضرار، فقد تغيرت مشاعرهم تجاه الإسلام والمسلمين تمامًا عندما رأى الحارث ومعه قومه أنهم

قد أصبحوا أصهاراً لرسول الله ﷺ، كما أدرك الحارث كذلك أن الرسول ﷺ رفع من قدر ابنته وأنقذها من الأسر والهوان بل بوأها مكانة عظمى فى نفوس المسلمين جميعًا، فإن كانت جويرية سيدة لنساء بنى المصطلق فقد أصبحت بزواجها من الرسول ﷺ من سيدات نساء المسلمين والعرب جميعًا.

وما فعله الرسول ﷺ مع جويرية فعله صحابته جميعًا مع سباياهن من نساء بنى المصطلق، ولا شك أن فيهن نساء كريمات من كرام بيوت بنى المصطلق.

لم يكن إسلام جويرية طمعًا فى فكاك أسرها، وإنما كان إسلامها عن اقتناع تام بدعوة الإسلام وصدق رسول الله ﷺ، فقد روى أن والدها لما علم بأسرها بعد انتهاء غزوة بنى المصطلق ذهب إلى النبى ﷺ وقال له: إن بنتي لا يسبى مثلها، فأنا أكرم من ذلك، فقال النبي ﷺ : «أرأيت إن خيرناها؟»

فأتاها أبوها فقال لها: إن هذا الرجل -يقصد رسول الله ﷺ- قد خيرك فلا تفضحينا.

فقالت جويرية: فإنى قد اخترته.

فقال أبوها: قد والله فضحتينا.

وكانت جويرية قبل زواجها من رسول الله ﷺ متزوجة من ابن عم لها، يقال له: صفوان ذو الشفر بن مالك بن جذيمة، وقيل اسمه: مسافع بن صفوان ذي الشفر بن سرح بن مالك بن جذيمة، وقتل عنها يوم غزوة بنى المصطلق.

إسلام الحارث والد صفية:

وبعد فترة رجع الحارث والد صفية إلى المدينة وأعلن إسلامه لله رب العالمين.

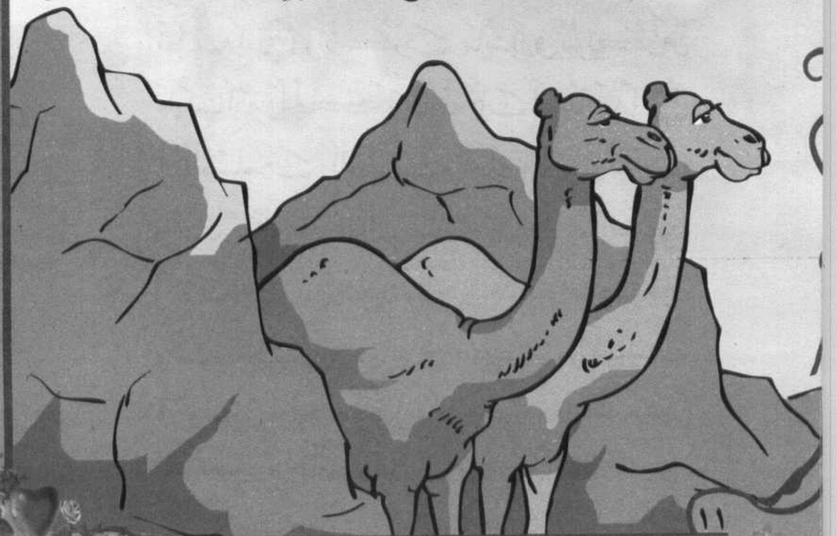
ويقال إنه أسلم يوم أن جاء المدينة ليفتدى ابنته من الأسر، ويروى فى ذلك قصة طريفة كانت سببًا فى إسلامه، فإنه جاء إلى المدينة ومعه فداء ابنته بعد أن أسرت وتزوجها رسول الله ﷺ، فلما كان بالعقيق نظر إلى الإبل فرغب فى بعيرين منها فأخفاهما فى شعب، ثم جاء فقال: يا محمد هذا فداء ابنتي. فقال الرسول ﷺ: فأين البعيران اللذان غيبتهما بالعقيق؟!! فقال الحارث: أشهد أن لا إله الا الله وأنك

رسول الله، والله ما اطلَّع على ذلك إلا الله، فأسلم وأسلم معه ابنان له أحدهما عمرو بن الحارث، وأناس من قومه.

جويرية فى بيت النبى ﷺ:

كان عمر جويرية يوم أن تزوجها النبى ﷺ عشرين سنة، وكان دخول الرسول ﷺ بها يوم جمعة. وورد أن اسمها بَرَّة، فلما تزوجها النبى ﷺ غير هذا الاسم وسماها جويرية.

وكان النبى ﷺ قد بنى لها منزلاً إلى جانب منازل نسائه فى جوار المسجد، وأصبحت بذلك من أمهات المؤمنين، وضرب عليها الحجاب، الذى كان قد نزل الأمر به عقب زواج الرسول ﷺ من زينب بنت جحش



-رضى الله عنها-، فى قوله الله تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ
عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ
ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٩]

ونزل كذلك قول الله تعالى:

﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ
فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ
فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ
ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا
يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ
تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ
ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾
إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ
وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ
وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ
وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ
فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا
وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٣٢-٣٥]

والتزمت جويرية -رضى الله عنها- بما أنزل الله فى كتابه وانكبت على العبادة والطاعة، فذات مرة، دخل عليها النبى ﷺ يوم جمعة وكانت صائمة، فقال لها النبى ﷺ: أصمت أمس؟ قالت: لا. قال: أتريدين أن تصومى غدا؟ قالت: لا. قال: فأفطري.

وكذلك كانت حريصة على كثرة ذكر الله، تقول جويرية: أتى علي رسول الله ﷺ غدوة وأنا أسبح، ثم انطلق لحاجته، ثم رجع قريبًا من نصف النهار، فقال: "أما زلت قاعدة" قلت: نعم. قال: ألا أعلمك كلمات لو عُدِلْن بهن عدلتهن، أو وُزِنَّ بهن وزنتهن (يعني جميع ما سبحت)، سبحان الله عدد خلقه ثلاث مرات، سبحان الله زنة عرشه ثلاث مرات، سبحان الله رضا نفسه ثلاث مرات، سبحان الله مداد كلماته ثلاث مرات".

وعلى الرغم من شدة جمال جويرية الذى ربما يكون مدعاة لإشعال الغيرة فى قلوب من سبقها من زوجات النبى ﷺ إلا أنه لم يؤثر

عنها شىء من هذا الأمر، فقد كانت -رضى الله عنها- حريصة على التقرب والتودد إلى زوجات النبى ﷺ، وقد شهدت -رضى الله عنها- فى بداية زواجها من الرسول ﷺ ما جرى لعائشة -رضى الله عنها- فى حديث الإفك، فلم تشغل نفسها بالأمر، ولم يصدر عنها أى تصرف أو قول فى حق عائشة، فحسبها أن الرسول ﷺ قد رفع من قدرها بأن ضمها إلى قافلة أمهات المؤمنين المباركة، وشغلت نفسها بالحق، وهل هناك حق خير من القرب من الله؟! فاستشعرت حلاوة الإيمان فى قلبها بمحبتها لله ورسوله ولأخواتها المؤمنات الصالحات من زوجات النبى ﷺ.



جويرية بعد وفاة النبى ﷺ:

عاشت جويرية -رضى الله عنها- فى كنف النبى ﷺ حوالى خمس سنوات سعيدة هانئة، وأخرجها الرسول ﷺ معه فى حجة الوداع، لتؤدى فريضة الحج، فتحققت بذلك أمنيتها بإكمال فرائض الإسلام.

فلما توفى رسول الله ﷺ حزنت عليه حزنًا بالغًا، وعزمت فى نفسها على الاجتهاد أكثر وأكثر فى العبادة والطاعة لعلها تسعد بجوار الحبيب ﷺ فى الجنة، فاعتكفت فى بيتها تنأى بنفسها عن أى مصدر للفتنة، مكثرة من الدعاء بأن يحسن الله خاتمتها فتلقى محمداً ﷺ على خير ما يحبه منها من عبادة ربها وحسن طاعته.

وفاتها:

توفيت أم المؤمنين جويرية فى سنة خمسين، وقيل: توفيت سنة ست وخمسين في شهر ربيع الأول، فى خلافة معاوية بن أبى سفيان -رضى الله عنه-، هذا الشهر الكريم الذى شهد مولد الحبيب ووفاته

ﷺ، وصلى عليها مروان بن الحكم وهو يومئذ والي المدينة، وكانت قد بلغت السبعين.